جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي حديث
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

جيرمي بنثام والليبرالية المطلقة

تعبر الليبرالية المطلقة عن الحاجة الى فسح المجال امام الاقتصاد النامي في انجلترا والولايات المتحدة، وهذا تطلب الابقاء على كل مقومات الليبرالية في حالة من الفعالية الدائمة من جهة، واستبعاد كل المعوقات التي من شأنها أن تعرقل فعالية هذه المقومات من جهة ثانية.

من هو جيرمي بنثام ١٧٤٨-١٨٣٢

ينتمي الى أسرة بريطانية ثرية إلا أن تكوينه الفكري كان فرنسيا بالدرجة الأساس.

تقوم فلسفة بنثام على أساسين:

١- أساس سيكلوجي هو مبدأ التداعي.
٢- أساس اخلاق هو مبدأ السعادة العظمى.

ماهو التداعي في فكر بنثام؟

التداعي وسيلة من وسائل القبض على المجرمين ولكن بنثام كان يرغب بجعله أداة لإقامة مجموعة قوانين، وعلى نحو أعم، قاصداً إقامة نسق سياسي اجتماعي يجعل الناس فضلاء بطريقة آلية مما يطرح هنا ضرورة تعريف مبدأه الثاني (مبدا السعادة العظمى)، من أجل تعريف الفضيلة.

حلل بنثام طبقاً لـــ(مبدأ السعادة العظمى) أصول العمل البشري فاستنتج ان الناس يعملون بدافعين هما: (اجتلاب اللذة، ودفع الألم)، وبفعل هذين الدافعين يكافح كل انسان ويعمل من اجل ادارك السعادة.

ومنا هنا فإن الانسان حيوان يستجيب بشكل ماهو متباين لما هو مُرض بالنسبة له، وما هو مُرض له هو ان يستطيع المجتمع فرض عقوبات من أجل ضمان النظام.

وهذه العقوبات ينبغي ان تكون محسوبة علميا بطريقة يبلغ فيها مجموع اللذة أو السعادة حده الاعلى ومجموع الالم وحده الأدنى، وهو مايسمى (مبدأ المنفعة) الذي يبدو في نظر بنثام مؤهلاً ليكون أساساً لعلم متكامل يختص بالانسان، ينبغي ان يكون بموجبه ما هو نافع هو المعيار الوحيد للسلوك الانساني والتشريع، ومعيار

المنفعة يجب ان يحل كلياً محل الخير والشر. وبهذا الشكل سيأخذ العلم مكان الأخلاق والدين بشكل كلي ونهائي.

في كتابه الاول (مبادئ الأخلاق والتشريع) اصادر عام ١٧٨٩ أهتم بنثام في المقام الأول بالاصلاح القانوني بعد أن تدرب على مهنة القانون، وقد ثار على مجموعة الاعتقادات التقليدية المشوشة التي كان يتكون منها القانون الانكليزي حينذاك.

تتميز فلسفة بنثام القانونية بطابعها التجريبي بقدر ما تتميز أيضا بطابعها النفعي. فمن زاوية المنفعة تكون كل عقوبة شرا لأنها جريمة مضادة مرتكبة بدلالة سلطة القانون، وكل عمل مضر للجماعة بالنسبة اليه ينبغى أن يرتقي الى مستوى الجريمة. وقف بالضد من العقوبات الاقتصادية طويلة الامد، ودعا الى سجن نموذجي يتم فيه تهذيب السجناء.

الأبعاد السياسية لمبدا المنفعة:

وجد نفسه عند نقطة التحول من ليبرالية القرن التاسع عشر، الى الليبرالية النفعية بصورة خاصة. ونشر كتاب (دفاع عن الاقراض بفائدة)، وهو من انصار امتناع الحكومة امتناعا كليا عن التدخل في القضايا الاقتصادية، متذرعا بالحجج التالية:

١- ان الثروة العامة حاصل جمع الثروات الخاصة...
٢- تدخل الدولة يتضمن عنصر الاكراه بالضرورة....

والليبرالية النفعيه لديه لاتقول بأن الحرية الاقتصادية تقود الى الكمال الاجتماعي ، وإنما تقول انها لاتتسبب إلا بالضرر الأقل ولذلك ينبغي ضمانها. وموقفه من الحرية يتميز بطابع براغماتي، ورفض فكرة الحقوق الطبيعية، لذلك عرف الحق بدلالة المنفعة. لذلك فإن اهتمامه بالحرية كان ضعيفا، إذ انه يؤمن ان غاية الانسان السعادة لا الحرية. وهو يعتقد ان السلطة ذات السيادة لها الحق المطلق في أن تقرر بالضبط الامتيازات التي ستحتفظ بها لنفسها، والامتيازات التي ستمنحها لكل فرد. وهنا يقترب بأفكاره من فكرة الاستبداد المستنير.وبرغماتية منعته عن التساؤل عن الكيفية التي توجد بها المؤسسات السياسية وفيما اذا كانت متطابقة مع العقل ام لا؟ لهذا تمسك بالحاضر، ورفض المنهج التارخي بالحكم، وفكرة العقد الاجتماعي. فأساس الحكم الحاجة الانسانية وليس العقد. وان الثورة لاتجد تبريرها في خرق العقد، بل عندما تتحول الحكومة لتصبح ضارة للسعادة. ونصح بنثام الفرنسيين عام

١٧٨٨ان يبحثوا عن نموذج يناسبهم في الحكم، ولفت نظرهم الى النموذج الامريكي.

كان محافظا من حيث الاتجاه الحزبي وديمقراطيا يكره الارستقراطية. وله كتاب (تعاليم الاصلاح الانتخابي) عبر فيه عن تحو للنظام الجمهوري. وطبق في كتابه (خطة اصلاح برلماني) الذي وضعه عام ١٨١٧ مبدأ التماثل الشكلي مع المصالح بين الحكام والمحكومين.

عام ١٨٢٧ صدر كتاب (المتن الدستوري) الذي استوحى أفكاره من ثلاثة مبادئ: مبدأ اكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الأفراد، ومبدا الانانية وحب الذات، ومبدأ التماثل الشكلي في المصالح. وآمن بالفصل بين السلطات وبمسؤولية الهيئتين التنفيذية والقضائية عن تنفيذ ارادة الهيئة التشريعية وتطبيق قراراتها.

المصادر:

١- عبد الرضا الطعان، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، ط١،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.
٢- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر النهضة، ج١، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٣- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط٢، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٤- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر الاصلاح الديني، ج٢، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٥- فرانسو شاتليه، تاريخ الايديولجيات-القرن ٧-١٩، ج٢، ترجمة انطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٧.